روائع القصص العالمية

توم سوير

مارك توين

أكاديميا

روائع القصص العالمية

توم سوير

إعداد

نورما نابلسي

أكاديميا
بيروت - لبنان

توم سوير

حقوق الطبعة العربية © أكاديميا إنترناشيونال، 2013

ISBN: 978-9953-37-910-4

Original title «TOM SAWYER»

Copyright: © MACAW BOOKS

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة، سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة الناشر على ذلك كتابة ومقدماً.

الناشر

أكاديـميا إنترناشيونال
فردان، شارع رشيد كرامي
بناية بنك بيبلوس، ط8
ص.ب 113-6669
بيروت 2140 1103 لبنان

Academia International
Verdun,Rashıd Karameh St.
Byblos Bank Bldg., 8th Fl
P.O. Box 113-6669
Beirut 1103 2140 Lebanon

هاتف Tel. (+961 1) 800811 - 862905 - 800832
فاكس Fax (+961 1) 805478

بريد إلكتروني E-mail academia@dm.net.lb
info@kitabalarabi.com

www.academiainternational.com
www.kitabalarabi.com

أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال ش م ل
ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International S.A L

المحتويات

توم 4
مدرسةُ الأحد 8
توم وبيكي 12
جريمةُ قتلٍ في المَقبرة 18
الدَّواء 23
الهاربون 26
عودَةُ الهاربين 31
المُحاكَمَة 35
البَحْثُ عن الكَنْز 39
الكُهوف 43
كَنْزُ إنجون جو 46

توم

«توم!»، صرخت الخالةُ بولي بأعْلى صَوْتها.

ولكنَّ أحدًا لم يُجِبْ. فَأخذَتِ الخالةُ بولي تبحثُ في كلِّ رُكْنٍ من أركانِ البيْت، حتى إنّها نظرَتْ أسْفلَ السَّرير. ثُمَّ توقَّفَتْ عند الباب، ورمتْ ببَصرِها خارجًا، فلمَحتْ شُجَيْرَةً تهتزُّ بالقُرْبِ من الباب. وإذا بها تُحْكِمُ قبضَتها على صبيٍّ صغيرٍ كان يَختبئ خلفَ أغصانِها. ذلكَ كان توم!

أوْشكتِ الخالةُ بولي أن تنهالَ عليهِ بالضَّرب، لكنَّهُ أجْفلها بصَيْحَةٍ أطلقها وقال، «انْظُري خلفكِ، يا خالتي!»

التفتَتِ الخالةُ بولي، فغافَلها وهبَّ يتسلّقُ السّور قبلَ أن يُطْلِق ساقَيْهِ للرّيح.

أخذَ توم الخالةَ بولي على حينِ غِرَّةٍ، ولكنّها في ما بعد، أغْربَتْ في الضَّحك وقالت في نفْسِها: «لقد خدعني مرةً أُخْرى! غدًا السَّبت هو يومُ عُطلة، ومع ذلك، سوفَ أُنْزِلُ بهِ العقابَ المُناسِب».

عاد توم أدراجهُ إلى المنزِلِ في وَقْتٍ لاحِق، بعد أن كان قَضَى اليومَ بطولِهِ في اللَّعِب

والاسْتِمْتاع بوقْتِه، فَرقَّ قلبُ الخالةِ بولي – لأنّه على الرُّغْمِ من كلِّ شيءٍ، كان ابنَ أختِها – فعدلَتْ عن تأْنيبِه. تناولا العِشاء، ثمّ خرجَ مرّةً أُخْرى حيثُ تعارك مع أحدِ الصِّبْيَة.

في وقتٍ لاحِقٍ من ذلكَ اليوم، رأتْهُ الخالةُ بولي يتسلَّلُ إلى الدّاخلِ عبرَ النافذَة. وكانتْ ياقتُهُ مُمزّقةً، ووجهُهُ قذِرًا – فعزمَتْ من جديدٍ على مُعاقبتِهِ وجعْلِهِ يعملُ يومَ السَّبت.

في صَباحِ اليومِ التالي، أمَرَتْهُ الخالةُ بِطِلاءِ السّياج.

عِنْدَما رَنا إلى الصِّبيانِ والفتياتِ الذين كانوا مُنْهمكين في اللَّعِب، انبعَثتْ مِنْ صَدْرِه تَنْهيدةُ استياءٍ شَديد. وفجأةً، راودَتْ مُخيِّلتَه فِكْرَةٌ رائعَة. فتظاهر بأنّهُ كانَ مُنْهمِكًا في الطِّلاء، وراح يَرْمُقُ السّياجَ بنظْرَةٍ ناقدَةٍ هنا، وأُخرى فاحصَةٍ هناك. إذاك، اقْتَربَ منهُ بِن روجر، وهو صبيٌّ صغيرٌ كان جارًا لتوم، وكان يقْضِمُ تفّاحَةً ويُقلِّدُ البَواخِر.

وقَفَ بِن بالقُرْبِ من السّياجِ وراحَ يتأمَّلُ توم بِفُضولٍ، ثمّ سألَهُ: «أتُحِبُّ القيامَ بهذا العَمَل؟»

«من يحظى بفُرْصَةٍ لِطلاءِ السِياجِ كلَّ يوم؟» سألَهُ توم، مُبْدِيًا إعْجابَهُ بعملِه.
تلكَ كانَتْ نظرةٌ جديدةٌ إلى العمل، فاعْتَرى بِن الفُضول. لذلك، تَوسَّلَ إلى توم أنْ يسْمَحَ له بتَجْرِبَةِ الأمْر. حتّى إنّه قدَّمَ لِتوم تُفّاحَتَهُ بالمُقابِل. في بادِئِ الأمْر، أبى توم عليهِ ذلك، ومن ثُمّ، سَلَّمَهُ الفُرْشاةَ وانْصَرَفَ بِن إلى العَمَل.
سَرْعانَ ما أعقبهُ أولادٌ آخرون كانوا في بِدايةِ الأمْرِ قادمينَ لِيَسْخروا مِنْهُ، لكِنَّهُم ما لَبِثوا أن بَدوْوا في التَّناوُبِ على طِلاءِ السِّياجِ.
قَدَّمَ كُلُّ صَبيٍّ لِتوم غَرَضًا مقابِلَ الحُصولِ على فُرْصَةٍ لِلطِّلاء. وسَرْعان ما أُثْرِيَتْ غَلَّةُ توم – فحَصَلَ على اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قِطْعَةً مِن الرُّخام، وسدادةٍ مِنَ الزُّجاج، ومَقابِضَ أبوابٍ من النُّحاسِ الأَصْفَر، وبِضْعَةِ ضفادعَ صغيرَةٍ، وغيرِها من الأغْراض. وهكذا، أُسْبِغَتْ على توم الهدايا، وتَوافَدَ إليهِ الكثيرُ مِنَ الرِّفاق، فأُنْجِزَ العملُ على أكملِ وَجْهٍ، ومرَّ اليومُ على نَحْوٍ رائِع. ثمّ انْطلق إلى الخالَةِ بولي لِيُطْلِعَها على النَّبأ السّار.

دُهِشَتِ الخالَةُ بولي عِنْدَما أَبْصرتْ عدّةَ طبقاتٍ مِنَ الطِّلاءِ تُغلِّفُ السِّياجَ وليسَ فقط طبقةً واحِدَة. فأثْنَتْ عليهِ، وقالَتْ «عِندَما تُريدُ العمل، تُجيدُه، ولكنَّكَ نادِرًا ما تَرْغَبُ في ذَلِك!»
ثُمَّ انصرَفَ توم ومَضَى ليلعبَ مع جو هاربر، أفضَل صَديقٍ لَه. وفي طريقِ عَوْدَتِه إلى المنزِل، لمحَ خارِجَ منزِلِ المُحامي جيف تاتْشَر فَتاةً صَغيرةً جميلَة.
سَرعانَ ما وقعَ في حبِّها فراحَ يَستعرضُ قواه أمامَها، علَّهُ يكسِبُ ودّها ويفوزُ بإعْجابِها. ثمّ ألقتِ الفتاةُ زهرة الثالوثِ خارِجَ الباب قبلَ أن تدلِفَ إلى الدّاخِل، فاجتاحَتْ توم موجةٌ عارِمةٌ من السّرور. ذهبَ لالتقاطِ الزَّهرة، ثم انكفأَ عائِدًا إلى البيتِ وهو يحلُمُ بالأوقاتِ السَّعيدة.
في وقتٍ متأخرٍ من تلكَ الليلة، تسلّقَ توم سياجَ منزِلِ الفتاةِ التي أسَرَتْ قلبه، متسائِلًا عمّا تُراها تفعلُه في هذا الوقت. وإذا بإحدى النّوافِذِ تُفتحُ والمياهُ تنهمِرُ عليه. فقفَلَ راجِعًا إلى البيت خبَبًا. ثمّ أوى إلى فراشِهِ وقد استبدَّ به نَزَقٌ كبير، فلم يجرؤْ أخوه غير الشقيق، سيدني الملقّب بسيد، أن ينبِسَ ببنتِ شَفَة!

مدرسةُ الأحد

حلَّ الصباحُ وانتهتْ وجبةُ الإفطار. كان على ماري، ابنة عمّ توم، مساعدةَ توم المتذمِّر على إنهاءِ دروسِه. واضطرّتْ في نهايةِ المطافِ أن ترشُوه، فأعطتهُ سكّين «بارلو» لقاءَ الدراسة. لأنّ مدرسةَ الأحد كانتْ على وَشْكِ أن تفتحَ أبوابَها.

كان توم يكرهُ أن يجهّزَ نفسَهُ للخروج. لذلك، تولّتْ ماري أمرَهُ، ورتّبتْ له هندامَهُ ونظّفتْ مظهرَه، ومشّطتْ له شعره. وفي نهايةِ المطاف، أتتْ جهودُ ماري بنتيجةٍ مُرْضية وأفلحَتْ في جعلِ منظرِه لائقًا. ولكنَّ توم، كان يكرَهُ الملابسَ النظيفةَ وارتداءَ الياقات. فاعتلتْ وجهَهُ تكشيرةٌ لأنه لم يكنْ راغبًا في الذَّهاب. لكنّهُ حافظَ على رباطةِ جأشِه، رأفةً بسيد وماري اللذين كانا يحبّانِ ارتيادَ مدرسةِ الأحد. على الفور، مضى الأطفالُ الثلاثةُ في سبيلِهم.

وصلوا إلى وُجهتِهم باكرًا. لذلك، استغلَّ توم وقتَ الفراغِ في جمعِ أكبرِ عددٍ ممكنٍ من التّذاكِر، الصَّفراءِ والزرقاءِ والحمْراء، لقاءَ أشياءَ صغيرةٍ مختلفة. وهذه التذاكرُ كانت مرغوبةً للغاية – لأنّ عَشْرَ تذاكرَ صفراءَ تُكسِبُ حامِلَها كتابًا مقدَّسًا. لم يكن توم يرغَبُ حقًّا في الحصولِ على كتابٍ مقدَّس، لكنّه كان يسعى إلى الشُّهرةِ والمجْد.

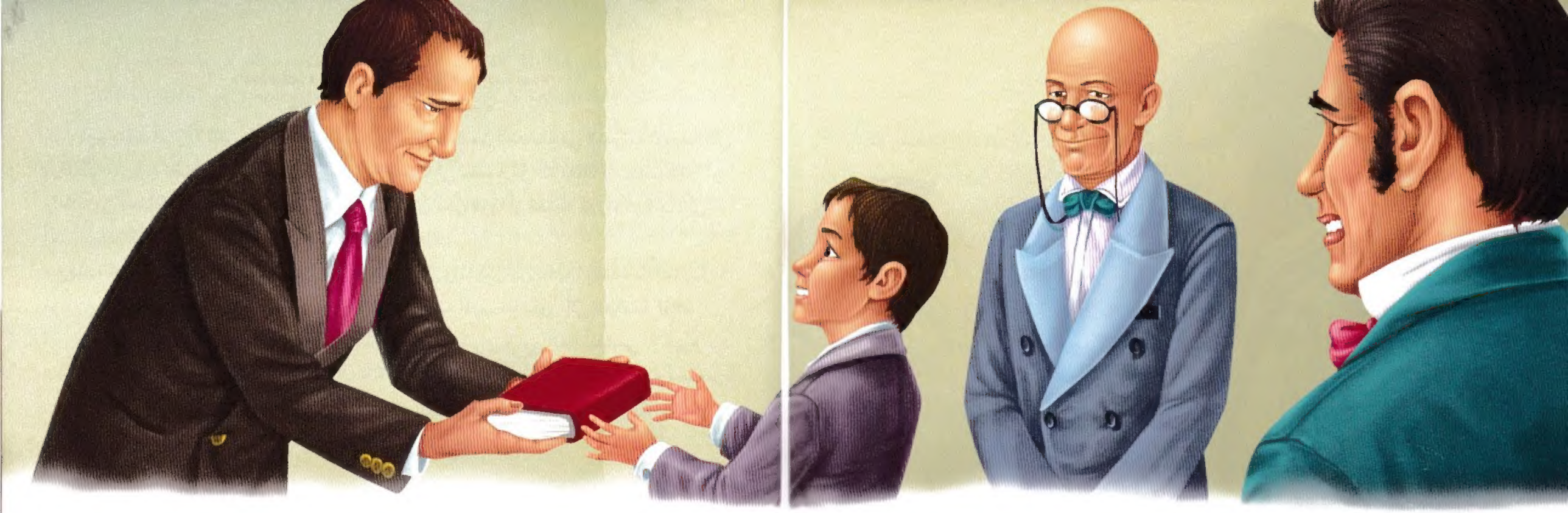

في تلك الأثناء، كان الأولادُ المشاغبون والهائجون والصاخبون يتدافعونَ على مقاعدِ الكنيسة. وبعد فترةٍ وجيزةٍ، دخل جيف تاتشر، بصحبةِ رجلٍ آخر وزوجتِه، إلى الكنيسة. وكانت برفقتِهم الفتاةُ التي كان توم متيّمًا بحبِّها. قُدّمَ السيدُ إليهم على أنّه القاضي تاتشر، وشقيقِ أحدِ المحامين.

كان السيدُ والترز، مراقبُ مدرسةِ الأحد، متحمِّسًا لمنحِ طفلٍ واحدٍ على الأقلّ كتابًا مقدّسًا بوجودِ القاضي. وعندما عرضَ له توم تذاكِرَهُ الحمراءَ التسعةَ ، والصفراءَ التسعة والزرقاءَ العشرة، اعْترى السيدَ والترز الذهولُ.

كان الصّبيةُ، الذين كانوا أعطوا تذاكِرَهم لتوم، يتحرّقونَ حسدًا وغيرةً. ثمّ قُدِّمَ توم إلى القاضي. كان معقودَ اللسان، لكنّه تمكّنَ من إطلاعِ القاضي على اسمه – توماس سوير.

سألَهُ القاضي عن أسماءِ أول تلميذين للسيدِ المسيح. لكنّ توم لم يكنْ يعرفُ الجواب، ولكن بعد مرورِ بعضِ الوقت، رمى إجابةً من دونِ تفكير وقد احمرَّ وجهُهُ خجَلاً، قائلاً «داود وغولياث»!

أغضَّ القاضي والسيد والترز الطَّرْفَ عن إجابةِ توم الخاطئةِ وأعطاهُ الكتابَ المقدّس. ثمّ نزلَ توم وجلسَ إلى جانبِ الخالة بولي وماري وسيد على المقعدِ الطويل. في ما بعد، استهلّ القسّ سبراغ خطبتَهُ الطويلَة، وأسهبَ فيها، فبدتْ لتوم كدندنةٍ رتيبةٍ ومملّة. ولمّا عيلَ صبرُه، راح

يفتّشُ عن شيءٍ يبعثُ على الإثارة. ثمَّ، تذكّر في بهجةٍ أنّه كان يخبّئُ في جيبِهِ خنفساء. وعلى الفور، أخرجَها من علبةٍ صغيرةٍ كانتْ معه. ولكنَّ الخنفساءَ ما لبثتْ أن قرصتْهُ بإصبعه. جفلَ توم وهزّ يده بقوّة. فطارتِ الخنفساءُ في الهواء، وسقطَتْ على ظهرِها في الممرّ. أبصرها كلبٌ هناك، فهُرِعَ إليها ليلهو معها، ولكنّه سرعانَ ما نالَ نصيبهُ من لدغاتها، فأطلقَ صيحةَ ألم، ثم ربضَ عليها. فما كان مِنَ الخنفساءِ إلاّ أن قامَتْ بقرصِهِ مرّة أخرى.

إذاك، هرولَ الكلبُ خارجَ الباب، وهو ينبحُ بيأس.

كان توم مستمتِعًا بهذا العرضِ الترفيهيّ، لكنّه امتعضَ من الكلبِ الذي اصطحَبَ خنفساءَهُ معه بعيدًا من دونِ وجهِ حقّ!

توم وبيكي

كان توم يمقُتُ أيامَ الاثنين، لأنها تعني بدايَةَ أسبوعٍ جديدٍ مِنَ المعاناةِ في المدرَسَة. وفيما كان يرقُدُ في سريرِه، تمنّى لو يصيبُهُ مرضٌ ما. راح يبحَثُ في جسمِهِ عن ألمٍ يفتِكُ به. فانْتَبَهَ إلى أن واحدةً من أسنانِهِ العلويَّةِ كانتْ تهتزّ. لكنَّ ذلكَ لم يكنْ عذْرًا قويًّا أو مقنِعًا. ثمّ، تذكّرَ فجأةً أنَّ أحدَ أصابعِ قدميهِ كان متقرِّحًا، فراحَ يئنُّ بصوتٍ مخيف.

مع ذلك، ظلّ سيد نائمًا. لذلك، قامَ توم بهزِّهِ بجهدٍ كبيرٍ وبدأَ يئنُّ من جديد. ولشدّةِ ما استرسَلَ توم في خيالِه، بدأ إصبعُ قدمِهِ يؤلمه حقًّا، فأضْحى أنينُه أقرب ما يكونُ إلى الحقيقة. إذاك، استيقظَ سيد وفي أذنيهِ صوتٌ بائس: «أَغْفِرُ لكَ يا سيد كلّ شيء، لأنني ألفظُ أنفاسيَ الأخيرة ...».

نزلَ سيد خَبَبًا، إلى الطابقِ السُّفلي، وجلبَ الخالة بولي وماري، وهو يردّدُ جَزَعًا: «إنَّ توم يُحْتَضَرُ»!

هرولتِ الخالةُ بولي التي شَحُبَ لونُها وارتعدَتْ فرائِصُها إلى توم وسألَتْه: «ما الأَمْر، يا توم؟»

«خالتي، إنّ إصبعَ قدمي تُؤلِمُني بشدَّة.»

ارتمتِ الخالة بولي على كُرْسيّ، وقد استحوذَتْ عليها نوبَةٌ من الضَّحِك والبكاءِ في الوقت نفسه. ثمّ وبّخَتْ توم لما سبّبَهُ لها من خوف. ساورَ توم شيءٌ من الخَجَل، فتوقفَ عن الأنينِ وولّى الألم.

«حسنًا، كان إصبعُ قدمي يؤلِمُني بشدَّةٍ حتى إنني كدتُ أنْسى الألَمَ الذي لا يترفّقُ بِضرسي»، قال توم.

استأصلَتِ الخالةُ بولي الضرسَ العَليل، وانتهتْ بذلكَ ملازَمَةُ توم للْفِراش، فانصرَفَ إلى المدرسَة. هناك، استقطبَ إعجابَ جميعِ الأولاد، لأنه كانَ يُجيدُ البَصْقَ في العديدِ من الطُّرقِ الجديدةِ والرائِعَة!

في اليومِ التالي، وبينما كان توم متوجِّهًا إلى المدرسَة، صادفَ في طريقِهِ هاكلبيري فين أو هوك كما كان يُدْعى. هوك لم يكُنْ يرتادُ المدرَسَة، وكان يُمضي الوقتَ في اللَّهوِ وفي القيامِ بما يَحْلو له. وكان كثيرَ السِّبابِ ويرتدي ملابِسَ فضفاضَة. ومع أنه كان مَحَطَّ إعجابِ جميعِ الأولاد في السرّ، إلا أنّه كان مرهوبَ الجانبِ من قبلِ الأهلِ والمجتمع.

لطالما كان توم يحبُّ التواصُلَ مع هوك، معَ أنّه كان مُحَظّرًا عليهِ ذلك. راحَ هوك وتوم يتناولانِ البحثَ في مواضيع مثيرةٍ للاهتمام، منها البُثور. وكان هوك يَلْتَقِطُ قطًّا ميتًا في كيسِه، وينوي أن يذهبَ إلى المقبرةِ عند منتصفِ اللَّيل لأداءِ طقوسِ السَّحَرَةِ من أجلِ عِلاجِ البثور. فاتّفق الفَتَيانِ على اللقاءِ في وقتٍ لاحقٍ من تلكَ الليلة، والذهابِ إلى المقبرةِ معًا. ثمّ منحَ توم ضرسَهُ لهوك لقاءَ قُرادةٍ كانتْ تخصُّ الأخير.

انصرفَ هوك بعد هُنَيْهةٍ، فيما حثَّ توم خُطاهُ إلى الصَّف.

كان توم مدركًا أنَّ المتاعِبَ كانتْ في انتظارِه. وتمامًا كما توقَّع، قامَ السيدُ دوبينز باستدعائِه وصرخَ به سائِلاً: «توماس سوير! لماذا تأخّرت؟»

ولكنْ قبلَ أن يتمكَّنَ توم من اختِلاقِ كِذْبَةٍ ما، أبصرَ الفتاةَ التي كان حبُّها يَسْري في عروقِهِ جالسةً في الصَّف.

فلمعَتْ في رأسِهِ فكرةٌ، وأجابَ بصوتٍ عالٍ: «لقد كنتُ بصُحْبةِ هاكلبيري فين!»

إذاك، حدّقَ السيدُ دوبينز في توم مَصْدومًا، فيما راحَ رفاقُهُ في الصفِّ يتساءلونَ ما إذا كان توم قد فقَدَ عقلَهُ.

فسألهُ السّيدُ دوبينز مرةً أخرى: «ماذا فعلْت؟»

«توقّفتُ للتحدُّثِ مع هاكلبيري فين».

نظرَ السيدُ دوبينز من حولِهِ وقدِ اسْتحوَذ عليهِ اليأس. لأنَّ ما أقدَمَ عليهِ توم كان خطًا فادِحًا، فجلدُه بالسَّوطِ. ثمّ، قامَ بإرسالِهِ إلى قسمِ الفتياتِ عِقابًا لَه.

جلسَ توم بفرحٍ كبيرٍ إلى جانبِ فتاتِه، معَ أنَّ الأولادَ الآخرين كانوا يتلوونَ من الضحك.

تظاهرَتِ الفتاةُ بالدرسِ وتجاهَلَتْ توم. فقدَّم لها دُرّاقَةً، ثمَّ، راحَ يرسُمُ على دفترِه. في نهايةِ الأمر، تغلَّبَ عليها الفضولُ واسترقَتْ نظرَةً إلى الرّسوماتِ، فأعجبَتْها. إذّاك، قالَ لها إنّه يستطيعُ تعليمَها الرَّسم. تبادلَ الجانبانِ اسمَيْهما. كان اسمُ الفتاةِ بيكي تاتشر، فيما طلبَ منها سوير أن تَدْعوه توم. ثم كتبَ على لوحِهِ الصَّغير، أحِبُّك. إذّاك، رَبَّتَتْ على يدِه، وتظاهرَتْ بالانزعاج، لكنّها في قرارةِ نفسِها كانَتْ في غايةِ السُّرور. عندما أدرَكَ السيدُ دوبينز ما كان يدورُ في خَلَد توم، أمسكَهُ من أُذنَيْه، وأعادَهُ إلى مقعدِه الأصليّ.

توخّزَتْ أُذُنا توم من الأَلَم، ولكنَّ قلبَهُ كان يقفِزُ ويَطير. وكانَ كلّما حاولَ أن يولي اهتِمامًا للدَّرس، يجدُ عقلَهُ يشُطُّ بهِ إلى خَبايا القَلْب، لذلك، أَلْقى بنَظَرِه خارِجًا. كان يومًا مُشْمِسًا وهادِئًا فأثقلَ النُّعاسُ عينَيْه، وكانتْ فرصَةً ما بعدَ الظُّهْر لا تزالُ بعيدَة.

بعد انتهاءِ المدرسَة، ذهبَ توم وبيكي كلٌّ في طريق، ولكنّهما عادا في وَقْتٍ لاحِقٍ إلى المدرسَة، التي أَضْحَتْ مقفِرَةً الآن. على الفور، علّمَ توم بيكي الرَّسْمَ. وبعدَ ذلِك، تَحدَّثا عن أُمورٍ مختلِفَةٍ، وهما يَمْضَغانِ العِلْكَة.

«هل شاهَدْتِ سيركًا يومًا ما؟» سألَها توم.

«نعم، وسوفَ يأخُذُني أبي مرةً أُخْرى، إنْ أَحْسَنْتُ التصَرُّفَ وأَطَعْتُ الأوامِر»، أجابَتْ بيكي.

«هل تَرْغَبين في الارتباط؟» سألَها توم.

«لا أعرِف»، أجابَتْ، «ما الّذي يَعْنيهِ ذلك؟»

«إنّه أَمْرٌ سهْلٌ جدًّا»، قال توم «كلّ ما عليكِ القيامَ بهِ هو مُرافَقَتي من المدرسَةِ وإلى الحَفَلات». ثمّ، طبعَ توم قبلةً على وَجْنَةِ بيكي، وأعلنَ لها بأنهما قدْ أَصْبَحا الآن «مَخْطوبَيْن!» ولكن، عند قيامِه بذلك، أفصَحَ لها سَهْوًا، بأنّ علاقةً ربطَتْهُ ذاتَ مرَّةٍ بلورانس إيمي. ثارَتْ ثائِرَةُ بيكي وعبثًا حاولَ توم إقناعَها بأنَّ علاقَتَهُما قد أَمْسَتْ في خبرِ كان، لكنّها ظَلَّت تُجْهِشُ بالبُكاءِ وتصُدُّه عنها. إذاك، أحسّ توم أنّه طُعِنَ في كبريائِهِ فأدبرَ عنها. راحَتْ بيكي تناديه مِرارًا وتَكْرارًا، لكنّهُ رفَضَ أن يُصْغي إليها، فاستمرّتْ في البُكاء.

جريمةُ قتلٍ في المَقبرة

انتابَ الحُزْنُ والكآبةُ قلبَ توم، فراحَ يتجوَّلُ خَبْطَ عَشْواء بين أحضانِ الغابَةِ خلفَ تلٍّ كارديف. كان يعتقِدُ بأنَّ النَّدمَ سَرعانَ ما سيملأُ قلبَ بيكي. ولكنْ بما أنَّهُ كان صبيًّا في مُقْتبلِ العُمر، سَرعانَ ما عادَ عِشْقُهُ للحياةِ يتحرَّكُ في أعْماقِه– فقرَّرَ أن يلتحِقَ بالهنود، ثمّ آثر الانضِمامَ إلى القراصِنَة لأنّهم أكثرُ انْدِفاعًا وذكاءً. راحَ يلعَبُ وَحْدَهُ، ويتخيّلُ نفسَهُ مُبْحِرًا في غِمارِ بحارٍ وَهْميَّة، ويثأرُ لنفسِهِ من عَدوٍّ إسباني.

ثمّ، سَمِعَ صوتَ بوقٍ من القَصْديرِ يَصْدَحُ في الجوّ. وإذا به يُبْصِرُ صديقَهُ جو هاربر مقبلاً إليه. فتغيّرَ المشْهَدُ إلى روبن هود وغابةِ شيروود. انقضَّ الاثنان أحدُهما على الآخرِ، وانتهَتِ المباراةُ عندَما تظاهَرَ توم، الذي انتحَلَ شخصيةَ روبن هود، بأنّه لَقِيَ حَتْفَه، ودُفِنَ تحتَ شجرةِ غرينوود. في طريقِ العودَةِ إلى البيت، أعربا عن انزعاجِهما من وضْعِ البلدِ المُزْريّ الذي كان يَخْلو من الخارجينَ عن القانون! فالحياةُ لم تَعُدْ ممتِعَةً على الإطلاق! ثمّ قرّرا أن يخرُجا عن القانونِ زهاءَ سنَةٍ من الزمَن، ومن ثمّ يصبحُ كلٌّ منهما رئيسًا للولاياتِ المتَّحِدة إلى الأبد!

كان توم وسيد يأويانِ إلى الفراشِ في التاسِعَةِ والنِّصْف من كلِّ ليلة. وكان سيد في العادة سَرعان ما يغُطُّ في النوم، بخلافِ توم الذي كان يستغرِقُ بعضَ الوقت. وإذا بتوم يسمَعُ مواءً! عندما لم يتوقَّفِ الصَّوْت، نهضَ توم من سريرِه على الفَوْر – تلكَ كانَتْ إشارَةُ هوك للذَّهابِ إلى المَقْبرة! قفزَ توم من النّافِذة، وتسلَّقَ السّياج حيثُ كان هوك واقِفًا. انضَمَّ توم اليه، ومن ثمّ، بدأ الاثنان بالسيرِ باتِّجاهِ المَقْبرة، التي تقعُ على بُعْدِ ميلٍ ونصف من القرية. كانتِ المقبرَةُ موغِلَةً في القِدَم – وكانتِ القبورُ غائِرَةً وشواهِدُها مفقودَة؛ وكانتِ الحشائِشُ الطويلَةُ والأعشابُ الضارَّةُ تنمو هناك والرياحُ تُصَفِّرُ وتُصَرْصِرُ بين الأشجار.

وقف الصبيّانِ هناكَ بِهُدوء.

وفجأةً، سمِعا أصْواتًا.

وعلى الفور، أبْصَرا نارًا تلوحُ من بعيد.

«إنها نارُ الشَّيْطان. إنّهُم قادِمونَ للنَّيْل منّا»، قالَ هوك.
«لن يقوموا بإزعاجِنا، لأننا لا نقترِفُ أيَّ خطأ»، قالَ توم.
وعندما اقتربَ الضوءُ أكْثَر، انكبَّ الفتيان على الصَّلاةِ بهُدوء، ليكتَشِفا فيما بعد أنّ تلكَ الأشْكال والأصوات ليسَتْ شيطانيَّةً إنّما بَشَريَّة،! وأنّها تعودُ لموف بوتر، سِكّيرُ المدينةَ، وإنجون جو، قاتِلٌ مُحْتَرِف، والطبيبُ روبنسون وهو حفّارُ قبور. أصاخَ الفتيان السمعَ إليهم.
توقّفَ الرجالُ الثلاثَةُ بالقربِ من أشْجارِ الدّردارِ في المَقْبرة، ثمّ قامَ بوتر وإنجون جو بانتِشالِ إحدى الجُثَث. وعلى ما يبدو، استحوذَتْ على إنجون جو نوبَةُ جَشَع، وبدأ يطلُبُ المزيدَ من المالِ لقاءَ الجُثَّةِ منَ الطبيبِ روبنسون. وعندما اعترَضَ روبنسون، قام إنجون جو بتَهْديدِه.
وبعدَ بُرْهَة، نشَبَ شِجارٌ بين الثّلاثَة. فضربَ روبنسون بوتر على رأسِهِ أفْقَدَهُ وَعْيَه. فاسْتَغَلَّ

إنجون جو الفرصَةَ وقامَ بطَعْنِ روبنسون إلى أنْ أرداهُ قتيلاً. ثمّ، وضَعَ السكّين المضرّجَة بالدماءِ في يدِ بوتر.
وعندما استعادَ الأخيرُ وَعْيَه، أخبرهُ إنجون جو بأنّه قتلَ الطَّبيب. ارتعدَتْ فرائِصُ بوتر وأَلْقى باللَّوْم في ذلك على الكُحول التي كان قد أسْرَفَ في شُرْبِها في تلك الليلة.
وتوسَّلَ إلى إنجون جو أن يُبقي الحادِثَةَ طيَّ الكِتْمان.
أومأ له إنجون جو بالإيجاب، وعلى الفور، فرَّ الرَّجُلانِ من مَسْرحِ الجَريمة. وبعد فترَةٍ من الوَقْت، هرولَ توم وهوك هما أيضًا إلى القريَةِ وقدِ انْتابَهُما رُعْبٌ شديد.
في صباحِ اليومِ التّالي، عُثِرَ على جُثَّةِ الرَّجلِ المَقْتول.
ثمّ تعرّفَ أحدُ الموجودين على السكّين – مؤكّدًا بأنها سكّين بوتر. أُعلِنَ ذلك اليومُ يومَ عطلةٍ رسميَّةٍ لضرورَةِ حضورِ الناسِ الجِنازَة، لذلك أغلَقتِ المدرسَةُ هي أيضًا أبوابَها. توم وهوك، انضمّا هما أيضًا الى الموكِبِ الذي قَصَدَ المقبرَة.
ولمّا عُثِرَ على سكّين موف بوتر على قابِ قوسين من الجُثَّة، أُنحيَ باللائِمَة عليه. لكنّه أقسمَ بأنّه بريءٌ، واقتربَ من إنجون جو كي يَشُدَّ من عَضُدِه. بيدَ أنّ هذا الأخيرَ آثَرَ الكَذِب من دونِ أن يرُفَّ له جَفْنٌ، وأَنْحَى باللوم كلّه على بوتر. نظَر توم وهوك إليه في ذُهولٍ تامّ. بالنسبةِ لهما، كان إنجون جو يُجسِّدُ الشيطانَ نفسَه! لذلك السبب، قرّرَ الصَّبيانِ مراقبَتَه عن كثب. نُقِلتِ الجُثَّةُ بعيدًا وأُرسِلَ بوتر إلى السِّجْن. ثمّ تفرَّقتِ الحُشودُ وهي مُقتنِعةً بأنّ موف بوتر كان رجُلاً مشْؤومًا.

بعيدَ تلكَ الحادِثة، بدأَ تأنيبُ الضَّميرِ يَسْتبدُّ بتوم، فأصبحَ بالكاد يستطيعُ النومَ ليلاً. وكان غالِبًا ما يتحدَّثُ في منامِه، وكثيرًا ما أيقظَتْ أحاديثُهُ سيد من سُباتِه.

في صباحِ أحدِ الأيام، سألَهُ سيد ما كان خَطْبُه. لكنَّ توم كان يجهَلُ ما يقول له.

فقالَتِ الخالةُ بولي، «لا بدّ أنّها جريمةُ القَتْلِ البَشِعَة تلك. إنْ كانَتْ تقضُّ مَضْجَعي أنا، فكَمْ بالحريّ هو!».

إذاك، أزيحَ حِمْلٌ كبيرٌ عن كاهِلِ توم، وهدأَ بالُه. ثمّ أفصَحَتْ ماري هي أيضًا عن مَدى القَلَقِ الذي كان يَتَنازَعُها في مَهْدِها. فسَرعانَ ما اقْتَنَع سيد، وتوقَّفَ عن مراقبَةِ توم بارتيابٍ. أمّا الأخيرُ، ودرءًا لافْتِضاحِ سِرِّه، فكان يربُطُ فكَّهُ كلَّ ليلةٍ، مدَّعيًا أنّ به ألَماً في الأسنان!

الدواء

تلاحقَتِ الأيامُ سِراعًا. وذاتَ يوم، أصيبَتْ بيكي تاتشر بوَعْكةٍ صِحيّة، مما جعلَ توم يتخبّطُ في براثِنِ القَلق. لزِمَت بيكي الفِراشَ وتغيّبَتْ عنِ المدرَسَة، لذلك انتظَرَها توم خارِجَ منزِلها، على أملِ أن يَراها. ومع ذلك، سَرعانَ ما بدأَتْ حالَتُهُ هو الآخَر تَسوء، مما أقلقَ الخالة بولي، فقرّرَتْ أن تُداويه. ولمّا كانتِ الخالَةُ قدِ التحَقَتْ ببعْضِ الدّوراتِ «الصِّحّية»، فقد عَمَدت إلى مداواتِه بالعَقاقيرِ اللاّزِمة ليستعيدَ صِحَّتَه.

بيدَ أنَّ الأمرَ كانَ عذابًا كبيرًا بالنسبةِ لتوم. ولما اعتادَ جسمُهُ على الدّواء، اشتدّ به المَرَض. فلجأَتِ الخالةُ إلى أحدَثِ الوَصْفات، وهي «مُسكِّنُ الألم». قاسى توم الأَمَرَّيْن، ولكنه لم يجِدْ سبيلاً للجِدالِ مع خالتِه.

ذات يوم ، بدا بيتر القطّ، راغِبًا في تذوُّقِ البعض من المُسكِّن. فأعطاهُ توم القليل – وإذا ببيتر يخرُجُ عن طوْره وينتفِضُ ويُهرْوِلُ في جميعِ أنحاءِ المنزِل، مُدَمِّرًا كلّ ما يصادف في طريقِه.
ولمّا قرصَتِ الخالةُ بولي أذُن توم بسببِ قساوة قلبِه، أجابَها بأنّه كان يحاوِلُ فقط أن يحسِن إلى بيتر سيما وأنْ ليسَ له خالةٌ تَرْعاه!
«ما الذي تقوله؟» سألَتْهُ الخالةُ مَصْعوقة.
فأجابها توم، «لو كان له خالة، لأحرقَتْ له أمعاءَهُ من دونِ اكْتراث، سواء كان بشرًا أم لا.»

إذاك، أدركتِ الخالةُ بولي أن ما هو قاسٍ بالنسبةِ لقطٍّ قد يكونُ قاسيًا أيضًا بالنسبة لتوم. فداعَبَتْ شعرهُ، وقالت: «فعلتُ ذلك لِخيْرِك.»
«خالتي، أنا أيضًا قمتُ بذلك لخيرِ بيتر. أنا لم أرَ في حياتي قطًّا يتنقّلُ في الأرجاءِ بهذهِ السُّرعة.»
«أوه، سوف تذهَبُ غدًا إلى المدرسة، وإن تحسَّنَتْ حالتُك، سوف لن أعطيك المزيدَ منَ الأدويَة!» صرختِ الخالة بولي.
في اليومِ التالي، رأى توم بيكي تاتْشَر في المدرَسَة، وكادَ أنْ يثِب فرَحًا. قَفَزَ فوقَ الأسْوارِ، وقام بالشَّقْلَبة الخلفيَّة باليد، ووقَفَ على رأسِه، ثمّ انْغمَس في تأديةِ تلك الحَركاتِ الغريبةِ والمُضْحِكة التي كان يعتقِدُ أنّها تُعجِبُها. لكنّ بيكي مرّتْ بالقُربِ منه، وقالت: «أوه، كم يحِبُّ بعضُ الأولادِ التبجُّح!»
احمرَّ وجهُ توم خَجَلاً وسارَ في الممَرِّ.

الهاربون

انْفَطَر قلبُ توم بسببِ تعليقِ بيكي. فقرّرَ الهربَ من منزِله ومن الحياةِ المريرَةِ التي كان يتخبَّطُ فيها. إنّ أحدًا ما كان ليُبالي به – وسوفَ يجعلُهُم يدفعونَ الثَّمن. شعرَ بالأسفِ لحالِه، ثمّ اغْرَوْرَقَتْ عيناهُ بالدُّموع، عندما انزلَقَ بتفكيرِه إلى الحياةِ الجديدَةِ التي سوفَ يدخُلُ مُعْتَرِكِها – وأغلب الظنّ أنّها ستكونُ حياةً صاخِبةً بالإجرام. ولكن، ليس من حقِّ أحدٍ أن يلومَه، لأنّهم لم يتركوا له خَيارًا آخر – لا بل هم من دَفَعوهُ إلى ذلك.

بدورِهِ كان جو هاربر يسيرُ في الممرِّ نفسِه، في خُطىً جديَّةٍ وهادِفة. وقد تبيَّنَ في ما بعد أنّ والدِتَه قد أبْرَحَتْهُ ضَرْبًا بسببِ خطأ لم يَقْترِفْه. لذلك، قرَّرَ الاثنانِ الفِرارَ والبقاءَ معًا إلى الأبد.

بعد أن سَبَرا أغوارَ عَدَدٍ من المِهَن ، اتَّفقا على مِهْنةِ القراصِنة لما تَنْطوي عليهِ من مزايا كَبيرة.

كانت هناكَ جزيرةٌ صغيرةٌ غير مأْهولةٍ تَزْخرُ بالغابات وتُدْعى بجزيرَةِ جاكسون، تقعُ تحتَ سان بيترسبرج، التي كانت تبعُدُ ميلاً عن نهرِ المسيسيبي.

قرّرَ الصَّبيان اتخاذَ هذه الجزيرة موطنًا لهم. فراحا يَبْحثان عن هوك. وما إن عثَرا عليه، حتى أبلغاه ما كانا ينويان القيامَ بهِ. فانضمَّ هوك إليهما بفرح، لأنَّ الأمر سيان بالنسبة له، سواء أكان من القراصِنة أم من الهُنودِ الحُمْر! جمعَ الفريقُ بعضَ الأغراضِ الاحتياطيةِ التي اعتقدوا أنها ضَروريةٌ لهم خلال مغامرتِهم، واستقلّوا طوفًا خاصًّا بهم، ثمّ انطلقوا في منتصفِ الليل إلى وُجْهَتِهم. عند حلول الصباح، كانوا قد وصلوا إلى الجزيرة. أفرغوا الطّوْفَ من الأغراض، واستخدموا الشراعَ لتخبئتِها. لقد باتوا من الخارجين عنِ القانون.

مكثوا على الجزيرة، وطَهوا اللحم المقدَّدِ حينًا والسمكَ أحيانًا أخرى، ونَهَلوا من الجَدْولِ النَّقي، ولعِبوا واستَمْتعوا قَدْرَ ما شاؤوا. لقد أضحتِ المدرسةُ مِنَ الماضي، وأمسى اللَّعِبُ والأكْلُ والنومُ مِحْورَ حياتِهم الجَديدة. تلك كانت أفضَل حياةٍ يمكنُ لهم تصوُّرها.

في صباحِ اليوم التالي، اكتشَفَ الأولادُ أنّ النَّهرَ قد سَحَبَ الطَّوْفَ! وهكذا انقطَعَ الجِسْرُ الوحيدُ الذي كانَ يربطُ ما بينَهم وبين الحَضارة. خَلعوا ملابسَهم، واستَحمّوا في النَّهر. في وقتٍ لاحقٍ، شَعروا بالانتعاشِ وبالجوعِ أيضًا، فأَضْرَموا النار. ثمّ اصطادوا بعضَ الأسماكِ وقاموا بشَيِّها – لم يحدُثْ لهم من قبلُ أن تذوّقوا سَمَكًا بهذه اللذة! وعلى هذا المِنْوال، وجدوا الكثيرَ من الأمورِ التي كانت تَسُرُّهم. ومع ذلك، حرّكَ فيهم سكونُ الغاباتِ الكثيفةِ الشعورَ بالضَّجَر، وسَرعانَ ما تسلّلَ الحنينُ إلى داخِلِهم.

في وقتٍ لاحقٍ، طرقَ أسْماعَهُم صوتُ عَبّارَة، فنهَضوا ولمَحوا سطْحَ السَّفينةِ مزدَحِمًا بالناس، إلى جانبِ عددٍ من القوارِبِ الصغيرةِ التي تبحَثُ في النَّهر. فأدرك توم أنَّ البحثَ عنهُم كان جاريًا. وعندما أخبرَ صديقَيْهِ عن سببِ هذا الحَشْد من المراكِب، بلغَ اعتدادُهُما بالنَّفْسِ مبلغًا جعلَهما، على غِرارِ توم، يغْفُلانِ عن أنّهم السَّببُ وراءَ هذه المتاعِبِ الجمَّة.

في الليل، وبينما كانوا يتربَّعونَ حولَ النّار، تلاشى شعورُ الإثارَةِ وقال جو بحياءٍ، «ربما علينا أن نتفقّدَ الآخرينَ في الديار؟»

سَخِرَ توم من هذا الاقتراح، وبعد بُرْهَة، أخلدَ الجميعُ إلى النَّوْم. لكنَّ توم استيقظَ بعدَ هنيهَة. ولمّا تأكّدَ أن كلاًّ من هوك وجو نائمين بعُمْقٍ، سَبَحَ في المياهِ إلى أن بلغَ العَبّارَةَ الراسية هناك واختبأَ فيها.

بعد فترةٍ قصيرة، وصلَ توم إلى القرية. فركضَ إلى منزلِ خالَتِه. تسلّقَ السُّورَ، وراحَ يسترقُ النَّظَرَ من نافذةِ غرفةِ الجلوس.

فشاهدَ الخالةَ بولي، ووالدةَ جو هاربر، وسيد وماري جالسين معًا يتحدَّثون. كانت ليلةُ الأربعاء. لم يكنِ الباب مُغْلقًا كليًا، فدَفَعه توم ببطءٍ وزحَفَ تحتِ السَّرير.

كان الشعورُ بالنَّدم يفتكُ بالخالةِ بولي ووالدَة جو هاربر. وكانتا تَصيحانِ وتقولانِ بأنَّ الفتيين كانا، على الرُّغم من مشاغَبَتهما، طَيِّبَي العِشْرَة. راحتا تَجْهَشان بالبُكاءِ وتواسي إحداهما الأُخرى. وبعد أن انصرفَتْ والدةُ جو هاربر، وضعَتِ الخالةُ بولي سيد وماري في سريرِهما، وتمنَّتْ لهما بحَنانٍ ليلةً سعيدة.

إذاك، اعترَتْ توم رغبةٌ شديدةٌ في إعلانِ حضورِهِ إلى خالَتِه، لكنّه قاومَ ذلك بكل ما أوتي من قُوَّة. ولما غَطَّتْ في النَّوم، تسلَّلَ من تحتِ السَّرير، وقبَّلها، ثمّ غادَرَ المنزل. عندما رَسَتِ العبّارةُ، عثَرَ توم على قارِبٍ، فصَعِد على مَتْنِه وعادَ إلى الجَزيرة. في صَباحِ اليومِ التّالي، وصَلَ إلى المُخيم. كان هوك وجو يستعدّانِ لتناوُلِ الفطور ويتساءَلانِ أيضًا عن مكانِ توم، الذي ما لَبِثَ أن انْضَمَّ إليهما، وأَطْلَعهما على ما قام به ثمّ أَخْلَدَ إلى النَّوم، وذهب جو وهوك إلى الصَّيْد.

مَضَتِ الأيامُ، وكان حنينُهُمْ إلى الدّيارِ يَشْتَدُّ، ومعَ ذَلِكَ بَقوا. وفي وقتٍ لاحقٍ، جاءَ توم بِخُطَّةٍ رائِعَةٍ سَرْعانَ ما اسْتَحْسنَها رفيقَاه.

عودَةُ الهاربين

في تلكَ الأثناء، كانَتْ أجواءُ المَوْتِ تَسودُ البلدة، إذ كان الجميعُ يظنُّ أن الصِّبْيَةَ الثلاثَة قد قَضَوْا نَحْبَهم لا محالة. أما في المدرسة، فكانَتْ بيكي تاتشر تفتَقِدُ إلى توم، الذي سَطَع نَجْمُهُ بين التلامِذَةِ وبات اسمُهُ على كلّ شَفَةٍ ولسان. وفي الكنيسَةِ، كانت جنازَةُ الأولادِ الثَّلاثة الميِّتين جاريةً على قَدَمٍ وساق. وخلال العِظَة، أشادَ الكاهِنُ بالفتيانِ مستَخْدِمًا عباراتٍ تستنفِرُ الدُّموع، ثمَّ انهارَ على المِنْبَرِ وراحَ ينتحِب مع سائِرِ المشيِّعين المُتواجِدين في الكنيسَة. ثمّ سَمِعَ الواعِظُ خَشْخَشَةً في الجِوار، فالتفتَ مُسْتَقصيًا.

وإذا بهِ يرى «الفتيانَ الثلاثَةَ الأموات»، الذين كادوا يموتونَ من شِدَّةِ الخجَل، يقفِونَ متّسخينَ عند مدخَلِ الكنيسَة، حيث كانوا يَخْتبئونَ في منصَّةٍ بعيدة، ويستَمِعونَ إلى عِظَةِ جنازَتِهِم الخاصَّة!

عانَقَتِ الخالَةُ بولي والسيدةُ هاربر الأولادَ وأغدقَتا عليهِم القُبُلات. ثمّ أعرَبَ الحضورُ بأكملِهِم عن شُكْرِهم للربِّ وامتنانِهِم له. وكان لتوم أيضًا نصيبَهُ من عناقِ الخالَةِ بولي وقُبُلاتها، بيدَ أنّه لم يكن يعرِفُ أيًّا من تلكَ المشاعِرِ الجيّاشَة كانت شُكْراً لله، وأيًا منها قد أثارَتها العاطِفَةُ التي تَكِنُّها الخالَةُ له.

«لم يكن من اللائقِ يا توم، أن تستمرَّ باللهوِ فيما كان الجميعُ يعاني الأمرَّين. أقلّه كان يجبُ أن تُرسِلَ لنا إشارةً لنطمئِنَّ على سلامَتِك ، لكنّك آثرتَ الفِرارَ بعيدًا بلا مُبالاة»، قالت له الخالَةُ بولي.

«حسنًا... لا أَعْرِفُ. كان ذلك أَفْسدَ كُلَّ شيء»، قال توم.

«توم، كنتُ أظُنُّكَ تحِبُّني كثيرًا لدرجَةٍ تجعَلُك تأبَهُ بما يكفي للتفكير في الأمر»، ردَّتِ الخالَةُ بولي في غصّةٍ.

احتجَّ توم على كلامِها وأخبرَها بأنّه يُحِبُّها وبأنّه رآها حتّى في المنام. ثمّ سرَدَ لها وقائِعَ ليلة الأربعاء، مضيفًا بأنّ القصَّةَ كانت كلّها مجرَّد حُلْم راوَدَه في الليل. إذاك، غَلَبتِ الخالَةَ بولي الدّهْشَةُ. لكنّها مع ذلك، ذهبَتْ لإخبارِ السيدةِ هاربر عن هذا الحُلْم.

في المدرسَةِ أَضْحَى توم بَطلاً. وكان، كُلّما تواجَدَ في مكانٍ عام، يتبخْتَرُ مُعْتدًّا بنفسِهِ ومستعيرًا منزِلَةَ القَراصِنة. وما انفكَّ جو وتوم يَسْرُدانِ مغامراتِهِما على مسامِعِ الأولاد، بعد أن أضحيا مَحَطَّ إعجابِ الجميع. ثمّ قرَّر توم التخلّي عن بيكي. لكنّها، حاولَتْ جاهِدةً استرعاءَ انتباهَه، فَباءَتْ كلّ جهودها بالفشل.

ولما استمرَّ بتجاهُلِها، راحَتْ تُغازِلُ ألفريد تامبل، الأمرَ الذي أغاظَ توم، فذهب إلى بيته في الظَّهيرة، والغيرَةُ تنهَشُ قَلْبَه. وعلى طولِ طريقِ عودَتِه، راحَ يَلْطِمُ وَيْلَكُمُ الهواءَ من شِدّةِ سَخَطِه. انتظرَتْ بيكي توم أن يعودَ إليها، ولكن عندَما لم يفعل، استشاطَتْ غَضَبًا وراحَتْ تُصْلي ألفريد كلامًا قاسيًا. ثم ما لبِثَتْ أن أجْهَشَتْ بالبُكاء. وفجأَةً، انهالَتْ عليهِ بالصُّراخ. عبثًا حاولَ ألفريد أن يخفِّفَ من غلوائِها، لكنّها راحَتْ تصيحُ وتقول، «أوه، أنا أكرَهُك!»

بعد ذلك، اجْتاحَتْ ألفريد رغبةٌ قويةٌ في الانتقام من توم، فسكَبَ الحِبْرَ على كتابِ الهجاء خاصّته. رأته بيكي يقوم بذلك، ومع ذلك، لم تحرِّكْ ساكِنًا.

« أودُّ لو أسلَخُ جِلْدَك عنك وأنت حيّ، أيها الشاب»، قالت الخالَةُ بولي لتوم عندما وصلَ إلى المنزل بائِسًا. كانَتِ الخالةُ قد عادت للتوّ من منزِلِ السيدة هاربر، التي أخبرتها أن توم قد أتى سرًّا إلى المنزِلِ ليلةَ الأربعاء. وبالتالي، فإنّ توم قد كَذَبَ عليها، وجعلها تبدو كالحَمْقاء أمامَ السيدة هاربر التي قالت إنه تكلَّفَ عناءَ الرِّحلَةِ الطَّويلة ليهزأ بها وليتسبّبَ لها بالحُزْن.

«خالتي»، قال توم، «أردْتُ أن أقولَ لك بأننا كنّا في أمان، ولهذا السبب أتيتُ إلى المنزل. حتى إنني كتبتُ لك مذكّرةً على لِحاءِ شَجَرة، ولكنَّني اعتقدت بأنّنا كنا سوف نعودُ إلى الديار في الوقتِ المُناسِبِ وقبل جنازَتِنا، لذلك لم أَتْرُكْها لك، ولكنَّني قبَّلتُكِ قبل أن أغادِر».

رقَّ قلبُ الخالَةِ بولي وقبَّلته، ونصَحَته أن يُهَرْول في الحديقةِ، لكنّها تساءَلَتْ عمّا يُمْكِنها أن تَتَأكَدَ من تَبْريرِه. دخلَتْ غرفتَه وفتشتْ في جيبِ سُتْرته، ووجدَتِ اللِّحاء. قرأته، ثم غَفَرتْ له من صميم قلبها.

المحاكمة

شعرَ توم بالسَّعادةِ وبقلبِهِ يَنْبِضُ من جديد. بعد كلّ شيء، كانت الخالَةُ بولي قد غَفَرت له. ولدى عودَتِه إلى المدرسة، ذهبَ مباشَرَةً إلى بيكي تاتشر واعتذَرَ لها عمّا بدرَ منه من وقاحَةٍ في السّابق. لكنّ بيكي رفضَتْ مسامَحَته، وقالت له إنها لن تتحدَّثَ إليه مرةً أخرى.

إذاك، تأجَّجَ الغَضَبُ في قلبِ توم، وافترقَتْ بالتالي، طُرُقُهما مرةً أخرى.

كان السيِّدُ دوبينز يملِكُ كِتابًا يحتفِظُ به داخِلَ دُرْجٍ مُقْفل. وذاتَ يوم، رأتْ بيكي القُفلَ مفتوحًا. فأخَذَتِ الكتابَ وراحَتْ تَتصفَّحُه. وإذا بتوم يَدْلِفُ إلى الصَّفّ. فجَفِلَتْ بيكي عندما رأته، ومزَّقَتْ خَطأً إحدى صَفَحاتِ الكتاب. وعندما بدأ الصَّفُّ، ورأى الأستاذُ كتابَ هِجاءِ توم المُلطَّخِ بالحِبْر، أوْسَعَه ضَرْبًا. أوشَكَتْ بيكي أن تُنقِذَهُ من عصا الأستاذ، لكنَّها تساءَلَتْ في نفسِها عن السَبَبِ

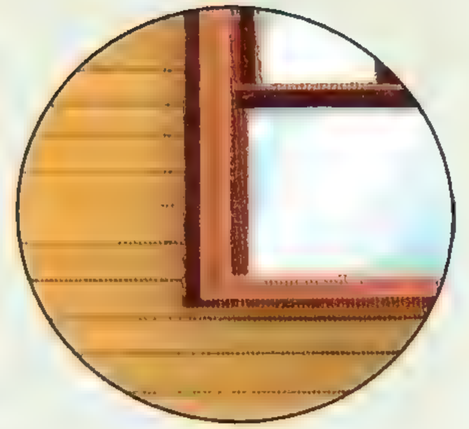

الذي قد يَدْفعها إلى إطْلاعِ السيد دوبينز بأنّ ألفريد هو من سَكَبَ الحِبْرَ على الدَّفتر، سيما وأنّها كانت واثِقَةً كلَّ الثِّقة من أنّ توم سوفَ لن يَتَوانى عن إفشاءِ سرِّها إلى الأستاذ، ويُخْبِرُه أنها مَزَّقت صفحَةً من كتابِه!

بعد ساعَةٍ من الوقت، اكتشفَ السيدُ دوبينز أن صفحةً من كتابِه كانت ممزَّقة. كاد أن ينفَجرَ غَضَبًا، ثمّ سألَ الفتيان والفتيات واحِدًا تلو الآخر، «هل أنت من قامَ بذلك؟» والردّ كان «كلا.»

عندَما وصَلَ الدَّور إلى بيكي، صاحَ توم: «أنا قُمْتُ بذلك!»

تعرّضَ توم للجَلْدِ مرةً أخرى، وأُجبِرَ على الوقوفِ خارِجًا لمدة ساعَتَيْن بعد أن غادَرَ الجميع. لكنّهُ لم يكنْ يُبالي– لأنه كان يعرِفُ بأنّ بيكي ستكونُ في انتظارِه. ولما رأى بيكي لاحِقًا، قالت له: «أوه، توم، كان تصرُّفُكَ غايةً في النُّبل»، فاكْتَمَلتْ سعادَتُه.

بدأَتِ العطلَةُ المدرسيَّة. وذهبَتْ بيكي الى سان بيترسبرج لِقضاءِ العُطْلة. ولكن بالنِّسْبةِ لتوم، فقد خَلَتِ العُطْلةُ من كلِّ مُتْعةٍ. كانت جريمَةُ القتلِ التي كان قد شَهِدَ عليها تُنغِّصُ عليه وعلى هوك عيشَهُما. لذلك السبب، أقسما على عَدَمِ الحديثِ عن الجريمة أو إخبار أيِّ أحدٍ عمّا رأياه.

أُحيل موف بوتر إلى المحاكَمَة. وفي الليلةِ السابقةِ لها، بقيَ توم خارِجًا حتى وقتٍ متأخِّر، لأنه قَصَدَ سرًّا المحامي، وعادَ في ساعةٍ متأخِّرةٍ من الليل إلى غرفَةِ نومِهِ عبرَ النّافذة، وكان في حالةٍ من الحماسةِ الكبيرة. في اليوم التالي، بدأَتِ المُحاكمة. في مرحَلَةٍ معيَّنة،

طلبَ المحامي من أحدِ الشُّهود الإدلاءَ بشهادته. لكنَّ الشاهِد لم يكُنْ أحدًا سوى توم، مما أثارَ عجبَ الجميع.

ثمّ أخبرَ توم في شهادَتِه أن إنجون جو قام بطَعْنِ الدكتور روبنسون. إذاك، قفز إنجون جو من نافذةِ قاعَةِ المَحْكَمة ولاذَ بالفِرار. وإذا بتوم يُصبح بَطَلَ القرية! ولكن مَعَ فِرار إنجون جو، أمستْ حياةُ توم في خطر. ناهيك أنّ هوك قد امتعض من شهادَةِ توم، لأنّه شعر بأنه قد تعرَّضَ للخيانَةِ من قِبل توم، الذي نَكثَ بالعَهْد وأفْصَحَ عن السِّرّ الذي اتَّفقا على كتمانِه.

دارَتِ الأيامُ، وظلَّ إنجون جو مُتواريًا بين سمع الأرضِ وبَصرِها، فازدادَ خوفُ توم وهوك أكثرَ فأكثر مع مُرورِ كُلّ يوم.

البحثُ عن الكَنْز

يأتي وقتٌ في حياةِ كلِّ ولدٍ، تَسْتأثِرُ به رَغْبةٌ شَديدةٌ في البَحْث عن الكُنوز. وقد حانَ الوقتُ الآن ليشُدَّ توم عِشْقُ المغامَرَةِ ويملأه هيامًا بالكُنوز. وبعونِ هوك، مضى توم يبحثُ عن مكانٍ يُمْكِنُ العُثورُ فيه على كَنْزٍ. في الحقيقة، كانتِ الأشجارُ القديمةُ العفِنةُ والمنازِلُ المسكونةُ أفضل الأماكِن ليُخفيَ اللُّصوصُ فيها غلَّتَهم.

وبعدَ عِدّةِ محاولاتٍ عَقيمة، قرّرا الحَفْرَ في منزِلٍ مَسْكونٍ يقَعُ على تلٍّ كارديف.

بعد ظُهرِ اليومِ التالي، قَصدا البيتَ المسْكون وقامَا بخلْعِه بواسِطَة بِضْعَةِ أدوات. كان سكونٌ مميتٌ يلُفُّ المنزِلَ، ومع ذلك، استَجْمعا شجاعَتَهما وارتقيا الدَّرَجَ المُكَسَّر. وما كادَتْ بِضْعةُ دقائقَ تَنْقَضي حَتّى سَمِعا أصواتًا يتردَّدُ صَداها في أرجاءِ المكان، فلَزِما مكانَهما بلا حِراك.

ثمّ دخلَ شَخْصان – أوّلهما رجلٌ إسبانيّ أصَمُّ وأبْكَم كانا قد لَمَحاهُ مرَّةً أو مرَّتين في القريَة، وثانيهما، رجلٌ غريبٌ عَنْهما. ولكن لمّا نطقَ الإسباني، أدْركا على الفَوْر أنّه ليسَ أحدًا غير إنجون جو! لَهَث توم وهوك من شِدَّةِ الخَوْف.

ومن خلالِ حديثِ الرَّجُلَيْن، أيقنَ الصَّبيّان أن إنجون كانَ يُخطِّطُ لإقترافِ عَمَلٍ خطيرٍ آخر، ومن ثم سوفَ يهرُبُ إلى ولاية تكساس. تناولَ الرَّجُلانِ بعضَ الطَّعام ثمّ غَلَبهُما النُّعاسُ وغَطّا في النَّوْم.

في تلكَ الأثناء، ظلَّ كلٌّ من توم وهوك مُنْبطِحَيْنِ أرضًا. وعندَما غَرَبَتِ الشمسُ وحلَّ الظلامُ، استيقظ إنجون جو من سُباتِه. ثمّ أيقظَ شريكَهُ وأخرجا من الحقيبةِ حَفْنَةَ دولاراتٍ من الفِضَّة. أخذا بضْعَة دولاراتٍ منها، وقررا تركَ الباقي هناك. لذلكَ بدأ إنجون جو يَحْفِرُ حُفْرَةً في الأرضِ لإخْفائِها. وبعد بُرْهةٍ، دوّى صوتُ المِعْوَلِ عندما ارتطمَ بصندوقٍ خَشبيٍّ قديمٍ ملبَّسٍ بالحَديد. كان هذا الصُّندوقُ يَحْتوي على الكثيرِ من العُملاتِ الذهبيَّة! خفقَ قلبُ الصَّبِيَّيْنِ بقدرِ الحماسِ والفرحِ نفسه الذي اختلجَ في صَدْرِ الرَّجُلَيْنِ في الأسْفل.

ثمّ قال إنجون جو لشريكِه إنّه بقِيَ له عَمَلٌ واحِدٌ يُنْجِزُه، وإنّه يَحْتاج فيه إلى مساعَدَتِه – لقد كان يَسْعَى إلى الانتِقام. أخبرَهُ شريكُه أنّه عَملٌ يَنْطوي على الكثيرِ من المَخاطِر. من ثمّ لاحَظَ

الأدوات التي جَلبها الوَلَدان – وأنَّ المِعْولَ ملوَّثٌ بتُرابٍ حديث. فهبّ إنجون جو لتفقُّدِ الجِوار – ولكن، بينما كان يرْتَقي الدَّرج، وتحفَّزَ الصَّبيان للقفْزِ داخِلَ خِزانَة، انكَسَرَ لوحُ الدَّرجِ وسقَطَ إنجون أرضًا. إذاك، قرَّرَ الأخيرُ إخفاءَ الكَنْزِ في الوكْر «رقم اثنين». غادرا المكان، وبعد فترة قصيرة، لحِق بهما الفتيان.

وفجأةً، صَعقَتْ توم فكرةٌ ارتعَشَ قلبُه لهَوْلِها، «الانتقام؟ ماذا لو كان يَقْصدُنا نحن بذلك؟»

كاد أن يُغْمَى على هوك من شِدَّةِ الخوْف. وقد اصْطكّت أيضًا فرائِصُ توم، سيَّما وأنّه كان هو من شَهِد على تورُّطِ إنجون جو في الجريمَةِ النَّكْراء. ولكن كان لا بدّ لهُما الآن من معرفَة مكان الوكر «رقم اثنين». لذلك، قرّرا مراقَبَةَ إنجون جو من أجلِ إنقاذِ نفسَيْهما من قبضَتِه الشرِّيرة، والعُثورِ على المال.

وكان «رقم اثنين» اسمُ حانةٍ في القرية. انكَبَّ الولدانِ على مراقَبَتِها في اللَّيل، بيدَ أن الحظَّ لم يحالِفْهُما أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء. لكنّه ابتسَمَ لهما يومَ الخميس. إذ قصَدَ توم الحانَة، وفتَحَ بابَ غرفَةِ إنجون جو، فكادَ أن يتعثَّرَ بالأخيرِ الذي كان ممدَّدًا على الأرض، بعد أن كان أَفْرَطَ في ارْتِشافِ الكُحول.

تراجَعَ توم على الفور إلى الخَلْف، ثمّ ولّى الأدبارَ هو وهوك، قبل أن يَقَعا في قبضَتِه ويُجْهِزَ عليهما. عندما بلغا أطرافَ القريةِ، توقّفا لأخْذِ نَفَسٍ عَميق. ثمّ تذكَّرَ توم أنه لم يَرَ الصُّندوقَ في أيِّ مكان. لذلك اقترحَ عليه هوك أن يقومَ بمراقبَةِ الحانة. ثمّ طلبَ منه توم المُواءَ كالقِطّ في حالِ وقوعِ مَكْروهٍ، كي يَهُبَّ لِنجْدَتِه.

الكُهوف

علِمَ توم أن بيكي تاتشر قد عادَتْ إلى القريةِ مَعَ عائِلتها. فذهبَ للقائِها ولَعِبا مع مجموعَةٍ أُخرى من الأَطْفال.

توسَّلَتْ بيكي إلى والدَتِها كي تعدّ لِنُزْهَةٍ في الهواء الطَّلْق، واعْتَرَتْها سعادَةٌ كبيرةٌ عندما أَبْدَتِ الأمُّ موافَقتها على ذلك. ولمّا كان المكان يبعدُ ثلاثَةَ أميالٍ عن القريَة، كانوا سوفَ يَعودون أدراجَهُم إلى الدّيار في وَقْتٍ متأخِّرٍ من المساء. استأجَروا باخِرَةً قديمة، وسَرعانَ ما بلغوا البُقْعَةَ التي قصَدوها.

في ذلك اليوم، احتلّ الكَنْزُ وإنجون جو المركَزَ الثاني في ذهْنِ توم. تجوّل الولدانِ في الجِوار، ولمّا شَعَرا بالجوع، التَهَما الطَّعامَ بنَهَم شديد. ثمّ، انصَرَفا لاستِكْشافِ الكُهوف في ماكدوغال. في غضونِ ذلك، كان هوك لا يزالُ يراقِبُ الحانَة. كادَتِ السَّاعَةُ أن تدقَّ الحادية عَشْرة، ومَعَ ذلك، لم يَطْرأْ أيُّ شيءٍ يُذْكَر. ولكنّه ما لَبِثَ أن أبصَرَ شخصين يحمِلانِ شيئاً ما ويغادِرانِ الحانَة. تعقَّبَهما إلى منزِلِ الأرملةِ دوغلاس الرابِضِ على تل كارديف. ولما تناهَتْ إلى مَسْمَعِه أصواتُهما، سَرعانَ ما أيقَنَ أن هذين الرجلين كانا إنجون جو وشريكه، وأنّهما كانا ينويان تَشْويه وَجْه الأرملةِ انتِقامًا من زوجِها الذي سَبَّبَ الأذيةَ لإنجون جو. أطلقَ هوك ساقَيْهِ للرّيح وحذَّرَ عائِلة ويلْشمان، جيران الأرملَة الأقرب، من نوايا الشرِّيرين. فقاموا جميعهم بمطارَدةِ الرَّجُلَيْن اللذين تَمكّنا من الفِرار. لكنّ الأرملَةَ دوغلاس سَلِمَتْ من براثِنِهما، ورَقَدَتْ بِسَلام.

في صباحِ اليوم التّالي، ذهَبَ هوك للقاءِ عائِلَةِ ويلْشمان. فسألَهُ ربُّ العائِلَة: «يا صَبي، هل تعرَّفْتَ على الرَّجُلَيْن اللذين هربا ليلَةَ أَمْس؟»

فأجابَ هوك: «نعم. كانا الإسباني وشريكه.»

وبينما كان هوك يتحدَّثُ إلى آل ويلْشمان، أخبرَهُم أن الإسباني كان إنجون جو. فأكَّدَ له آل ويلْشمان أنّهم سوفَ يَبْحثون عَنْه.

سَرعانَ ما تَفشَّى الخَبَرُ، وشَكَرتِ الأرمَلَةُ دوغلاس عائِلَةَ ويلْشمان لِطَرْدِها المُتَسلِّلين. وفي ذلك اليوم، أصيبَ هوك المِسْكين بوعْكَةٍ صحِّية. فأخذتْهُ الأرمَلَةُ دوغلاس إلى مَنْزِلِها واعْتَنَتْ به.

وفي اليومِ التالي، كان الجميعُ يتحدَّثُ عن الأحداثِ التي وقعَتْ في الليلَةِ السّابقة. ثمّ ازداد قلقُ الخالَةِ بولي والسيدة تاتشر لأنَّ توم وبيكي لم يعودا من النُّزْهَة بعد. فَظَنّتا أنّهما كانا لا يزالان في الكَهْف. كان الجميعُ مرتَعِبًا. وذهبوا للبَحْثِ عن الطِّفْلَيْن المَفْقُودَيْن.

ثمّ وجدوا في أحدِ الكهوف اسميْ «بيكي» و «توم» مكتوبين على جدارٍ صَخْريّ، في قِسْمٍ بعيدٍ عن الطريقِ السياحيّ المألوف. كما عَثَروا على قِطْعَةٍ صغيرةٍ من الشَّريط المُتَّسِخ العائِدِ إلى بيكي – فراحَتِ السيدة تاتشر تَجْهَشُ بالبُكاء. انقضَتْ ثلاثَةُ أيامٍ من دونِ أن يَرِدَهم أيُّ خبرٍ عنهما على الإطلاق. فرانَ على القريةِ السُّكونُ والحُزْن.

في غُضونِ ذلك، كان بيكي وتوم تائِهَيْن. وحقيقَةُ ما حَدَث هو أنّ توم وبيكي كانا قد ذَهبا

لاكْتِشافِ الكُهوف في ماكدوغال خلالَ النُّزْهَة. ثم لَعِبا الغُمّيضَة مع غَيْرِهم من الأولادِ إلى أن أَنْهكَهُما التعبُ، فراحا يَجوبانِ في الكُهوف. هناكَ، استَحْوذَت عليهم رَغْبةُ الاستِكْشاف، ولكنّهم كانوا قد ابْتَعَدوا كثيرًا عنِ المكانِ الذي دَخَلا منه الكهوفَ.

ارتعَبَتْ بيكي وراحَتْ تَبْكي، وحاولَ توم تَهْدِئَتها. ناما واستيقَظا، وأضاعَا مَسار الوقت.

التقَطَ توم طائِرَةً ورقيَّةً في يَدَيْه، وراحَ يستَكْشِفُ بعضَ المَمَرّاتِ الجانبيَّة، ثمّ سَمِع أصواتًا في الأَسْفل فراحَ يَصيحُ طَلَبًا للنَّجدة. لكنّهُ أصيبَ بالصَّدْمةِ عندما تعرّفَ إلى إنجون جو الذي كان يحمِلُ شَمْعةً وسِكّينًا في يديهِ. ولكن لمّا سَمِعَ إنجون جو صُراخ توم، ارتعدَ وولّى هاربًا. فعادَ توم أدراجَهُ خائِفًا من المُضِيّ قُدُمًا، خشْيَةً من مُصادَفَةِ إنجون جو!

بعد يومِ نومٍ طويلٍ آخَر، استيقظَ توم وبيكي وهما يَتَضوَّران جوعًا. عزمَ توم على اسْتِكْشافِ طَرَفِ المَمَرِّ، بينما ظَلَّتْ بيكي التي أَوْهَنَها الجوع، ممدَّدَةً هناك، في انتِظارِ المَوْت. طبعَ توم قُبْلَةً على وَجْنَتِها ثمّ أَخَذَ في يدهِ الطائِرَةَ الورقيَّةَ وانطلَقَ إلى الأمام. أفْضَى الممرُّ الثالِثُ الذي دَخَلَهُ توم إلى فُتْحَةٍ مُطِلّةٍ على النهر. وسَرعانَ ما عَثَر على الطِّفلينَ الجائِعينَ بضعةُ رجالٍ كانوا على مَتْنِ أحدِ القَوارب، فسارعوا لنَجْدَتِهما وأَعْطوهما طَعامًا وجَعلوهما يَرْتاحان.

في ساعاتٍ منتصَفِ ليلِ الثلاثاء، دقَّتْ أجراسُ الكنائِسِ ابتِهاجًا بعودَةِ الطِّفلين! ونُقِلَ الخبرُ السارُّ إلى كلٍّ من السَّيدةِ تاتشر التي كانَتْ تَرْزَحُ تحتَ وَطْأَةِ حالَةٍ من الألم والهَذَيان، والخالَة بولي التي انتزَعَ منها القَلَقُ لَوْنَها.

احتاجَتْ بيكي وتوم أسْبوعًا من الوَقْتِ تقريبًا لاستِعادَة قواهُما. ولمّا اكتشَفَ توم أن هوك كان مَتوَعِّكًا، مَضَى لرؤيتِه عندما سَنَحَتْ له الفُرْصَة.

كَنْزُ إنجون جو

ذاتَ يوم، عَرَجَ توم على منزلِ القاضي تاتشر حيثُ أخبرَهُ القاضي بأنّ كهوفَ ماكدوغال قد أُغلِقَتْ بالكامل، فكادَ أن يُغْمى على توم. وعندما استفاقَ من صدمَتِه، أخبرَ القاضي أن إنجون جو كان مختبئًا في أحدِ تلكَ الكُهوف.

ولكن في الوقتِ الذي أُعيدَ فيه فتحُ الكَهْف، كان إنجون جو قد قَضَى نَحْبَه. شعرَ توم بالأسفِ نحوه، لأنه كان يعرفُ من تجربتِهِ الخاصَّة، مدى ما عاناه إنجون جو قبل مُفارقَتِه الحياة.

دُفِنَ إنجون جو بالقربِ من مدخلِ المَغارَة، وحضَرَ جميعُ سكّانِ القريةِ جنازَته.

التقى توم وهوك مرّةً أُخرى بعد أنِ اسْتعادَ الأخيرُ قُوَّتَه. وبحثا في مسألَةِ الكَنْز – لقد كان موجودًا في الكَهْف، وكان توم على يقينٍ من ذلك، لأنّه سبقَ أن رأى إنجون جو يحملُ سِكّينًا، وبالتالي، فإنه من الممكن أن يكونَ قد حَفَرَ حُفرةً في الجوار وأَخْفى الكَنْزَ فيها. راح توم وهوك يُجذِّفان مركَبًا شراعيًّا صَغيرًا، إلى أن بلغا أسفلَ بابِ مغارةٍ متواريةٍ عن الأنظار وكان وحده توم يعرفُ مكانها. سارا في أحدِ الممرّات وسَرعانَ ما عَثرا على الصَّخرَةِ التي أَخْفى إنجون جو المالَ تَحْتها. استلَّ توم سكّينَهُ وبدأ بالحفْر. وسَرعانَ ما اصطدمت يدُهُ بصُندوق خَشَبيّ. فتحا

الصُّندوقَ الثقيلَ ووجدا فيه الكَثيرَ من العُمْلاتِ الذهبيَّة! وبالطَّبْعِ كان توم قد تنبَّهَ إلى ضَرورةِ جَلْبِ عدّة أكياسٍ معه، فوضَعا كلّ المال فيها.

خرجَ الصبيّانِ واسْتَقلاّ القارِب. وعندَما بَلَغا الشَّاطِئَ، وضَعا كَنْزَهُما في عَرَبة. ثمّ توجّها إلى منزلِ الأرمَلَةِ دوغلاس، حيثُ قرّرا إخفاءَ الأموالِ في الوقْتِ الرّاهنِ داخلَ سقيفَةِ تَخْزينِ الحَطَب. على أن يتقاسما الكنز في اليومِ التّالي، ويَدْفِناه في الغابَة.

الْتَقَى بِهما السيدُ ويلشمان وهما يَشُقّانِ طريقَهُما إلى أَعْلَى التلّة، فعلّقَ لهما العَرَبَة خَلْفَ عَرَبته. وجَرَّهُما إلى مَنزِلِ الأَرْمَلَة. عندما أَصْبَحا قابَ قوسَيْنِ من المَنْزِل، لاحَظا أنه كان مُضاء. ولما دخلَ الصبيّان وقد غَلَّفَهُما الطّين والشَّحْم، أدركا أنَّ جميعَ الأشخاصِ الذين يَعْرِفانهم كانوا هناك. بَدتِ الخالَةُ بولي مُسْتاءَة، ولكنَّ الأرمَلَة قادَتْهما بِسُرْعَة إلى غرفةٍ جانبيَّة و[illegible] لِيَرْتَدِياها.

أرادَ هوك الـ[illegible] الحُشود، ولكنَّهُ سَرعانَ ما أُجلِسَ هو وتوم على مائِدَةِ العِشاء. ثمّ[illegible] كيفَ أنقَذَ هوك الأرمَلَة من الأَشْرار. وكانَتِ الأرملَةُ في غايةِ الامْتِ[illegible] تَعْتَني به وتُدْخِلُه عالَمَ الأعمال. ثم، قالَ توم بأنَّ هوك يمتلِكُ المال[illegible] جَلَبَ الأكياسَ وأَلْقَى بها على الطَّاوِلة.

التقطَ الجميعُ أنفاسَهُم عندما سقطَت العُمْلات الذَّهبيَّة. «نِصْفُها لي، والنِّصْفُ الآخرُ لهوك»، أعلنَ توم، مُنتصِرًا. وبعدَ أن قاما بِعَدِّها، تبيَّن أنَّ المبلغَ كان يُناهِزُ الاثني عشرَ أَلْفَ دولار. اسْتَلْهَمَ الجميعُ من بحْثِ توم وهوك الناجح عن الكَنْزِ. وسَرعانَ ما تدفَّقَ الباحِثونَ عن الكُنوز، إلى كافَّةِ بيوتِ سان بيترسبرغ الـ «مسكونة». نالَ توم حَظْوَةً عند القاضي تاتشر، فأرادَهُ أن يَنْخرِطَ ذات يوم في الجيشِ أو أن يلمَعَ نَجْمُهُ في عالَمِ المُحاماة.

قَطنَ هوك معَ الأَرْمَلَة، الأمرُ الذي دَفعَ به إلى غِمارَ المُجتمَعِ ومُعاشَرَةِ النّاس، وهو أكثر ما كان يَمْقُتُه. وما كادتْ تَنْقَضي ثلاثةُ أسابيع، حتَّى فرَّ بعيدًا. وبعد ثلاثةِ أيام، وجدَهُ توم أَشْعَثَ الشَّعْرِ وطَليقًا داخِلَ برميلٍ فارغ. حثَّهُ توم على العوْدَةِ إلى مَسْكَنِ الأَرْمَلَة وقالَ له إنه لن يلبثَ أن يَعْتادَ على الحياةِ المُحْتَرمة. لكنَّ هوك أبى عليه ذلك وقال: «أفضِّلُ أن أكونَ سارِقًا، على الرُّغْمِ منَ المالِ الذي أَمْلك!»

فأجابَهُ توم بِذكاء، «إنَّ اللصوصَ لا يقبلونَ سِوى المُحْتَرمين في عِصاباتِهِم. وبالتالي، إن أَضْحَيْتَ مُحْتَرمًا، سوف أُرَحِّبُ بكَ في عصابتي!»

وافَقَ هوك على العيشِ معَ الأرمَلَة في نهايَةِ المَطاف، طالما أنَّ مُغامراتِهِ اللَّيْلية مع توم سوفَ تستمرُّ على قَدمٍ وساق. وهكذا، عاشَ الفَتَيانِ حياةً سعيدةً وهانئةً لا يَشوبُها همٌّ ولا تُعكِّرُها شُجون.

توم سوير

... يأتي وقتٌ في حياةِ كلِّ ولدٍ، تَسْتأثِرُ به رَغْبةٌ شَديدةٌ في البَحْث عن الكُنوز. وقد حانَ الوقتُ الآن ليشُدَّ توم عِشْقُ المغامَرةِ ويملأَه هيامًا بالكُنوز. وبعون هوك، مضى توم يبحثُ عن مكانٍ يُمْكِنُ العُثورُ فيه على كَنْزٍ. في الحقيقة، كانتِ الأشجارُ القديمةُ العَفِنةُ والمنازلُ المسكونَةُ أفضَل الأماكِنَ ليُخفيَ اللُّصوصُ فيها غَلَّتَهم. وبعدَ عِدَّةِ محاولاتٍ عَقيمة، قرّرا الحَفْرَ في منزِلٍ مَسْكونٍ يقَعُ على تلِّ كارديف ...

صدر من هذه السلسلة:

- كنوز الملك سليمان
- رحلة إلى باطن الأرض
- عائلَةُ روبنسون السويسريَّة
- عشرون ألف فرسخ تحت الماء
- أطفالُ سكَّة الحديد
- الفرسان الثلاثة
- ديفيد كوبرفيلد
- الحديقة السريّة
- توم سوير
- كتاب الغابة
- أحدب نوتردام
- أوليفر تويست

ISBN: 978-9953-37-910-4

تم تصنيف هذه القصّة وفق معايير «عربي 21» لتصنيف كتب أدب الأطفال العربي، وقد صنّف مستوى «ص» ـ «متقن أدنى»

أكاديميا